

الفصل الخامس

الحرب

ونزلت الكارثة، فالحرب التي صبغت بالدماء أرجاء الحبشة ،
واسبانية ، والبنانية ، والصين ، امتدت الى اوروبة كلها وجعلت
تجر خلفها ، في خط من الموت والحراب ، جميع امم العالم .

اندلعت الحرب العالمية الثانية اثر ازدياد ازمة الرأسمالية
عمقاً ، وفقدان التوازن بين القوى الرأسمالية الاستعمارية الكبرى ،
وكان سببها المباشر عدوان الدول الفاشية التي قامت تحاول
بسط نفوذها على العالم ، واخضاع الشعوب جميعها لنيروها ،
وتدمير آخر مظاهر الديمقراطية في جميع بلدان العالم ، كما
فعلت في ايطالية والمانيّة. وقد آذرت الرجعية العالمية المعتدين
الفاشيين مؤازرة فعلية مباشرة، وذلك بمسيرة المانيّة ومعاملتها
بسياسة التساهل ، اي سياسة المشاركة في الجريمة ...

اعلنت حكومتا لندن وباريس الحرب على المانيا ، ولكن
الفرق الفرنسية المئة والعشرين ، والفرق البريطانية العشر لم

تقم بأي نشاط جدي ضد الفرق الالمانية الثلاث والعشرين التي كان هتلر يحتفظ بها على الحدود الغربية، حين كان يكتسح الشطر الاعظم من جيوشه، اراضي بولونية، وجمدت حكومة الاديبه الجيش في قلاع خط ماجينو وخنادقه، وهكذا سحقت بولونيا، وسمحت هذه الخطة هتلر بان يعود بجيوشه نحو الغرب فيما الجيوش الفرنسية قابعة في مراكزها، واستكمل هتلر تسلحه واستعد لغزو بلادنا، والواقع ان حكومة فرنسا لم تكن تفكر في حربها ضد المانيا بقدر تفكيرها بالحرب ضد الاتحاد السوفياتي .

كانت حكوماتنا البورجوازية تتجنب اغصاب هتلر، وتداعب في اعماقها حملاً، وترجو ان تتفاهم مع زعيم الرايخ، لكي يشن هجوماً على الاتحاد السوفياتي، وهي خطة مجرمة عادت على فرنسا بالهزيمة الشنعاء...

واندلعت الحرب الفنلندية في كانون الاول ١٩٣٩ اثر استفزاز الحرس الابيض الفنلندي للروس . واطلقت الصحافة الفرنسية الرجعية شواظ حقدها على الاتحاد السوفياتي . وكتب ليون بلوم في صحيفة « الشعبي » بتاريخ ٦ كانون الاول ١٩٣٩ « لقد حجب الخطر الهتلري، طوال سنوات عدة، الخطر الروسي عن اعين الفرنسيين، اما عدونا الحقيقي، فهو الاتحاد السوفياتي » هكذا قام بطل « الحياض » البائس يطالب، هذه المرة، بارسال الطائرات والمدافع والذخائر الى فنلندا، وترأس جوهر لجنة « اغاثة فنلندا » .

وفي ١٢ آذار ١٩٤٠ أعلن دالادييه في المجلس ارسال نجدة عسكرية الى فنلندا ، مؤلفة من ٥٠٠٠ رجل . واقتطع « لا شامبر » وزير الطيران من الطيران الفرنسي الغزيريل ١٧٥ طائرة مطاردة وارسلها الى الحرس الفنلندي الابيض . ولكن هذه « النجدة » وصلت متأخرة . اذ خرق الجيش الاحمر خط الدفاع الفنلندي وزحف على هلسنكي ، ووقعت وثيقة الهدنة بين الاتحاد السوفياتي وفنلندا .

وفي سوريا كان ويغان على رأس ١٥٠ ٠٠٠ جندي يوني وجهه شطر القوقاز استعداداً لغزوه ، وفي رسالة مؤرخة في ١٧ نيسان ١٩٤٠ اقترح ويغان قصف باكو بالقنابل ، وتدمير ينابيع البترول في شهر حزيران ، اي الشهر نفسه الذي كان على ويغان ان يفرض فيه هدنة « روتوند » على نفسه وعلى حكومة من المفلسين والجنائء ...

كان القادة الفرنسيون يجيدون التفكير في احراق آبار باكو البترولية ولكنهم لا يتجرأون على اطلاق رصاصة واحدة على الحط الحديدى الممتد من بال الى كارلسهي بمحاذاة نهر الرين ...

لم يكن رجال المئتي عائلة ، الحونة الذين تعاونوا مع هتلر فيما بعد ، يأملون التفاهم مع الطاغية الالمانى وحسب ، بل كانوا يتاجرون معه ؛ ففي آذار ١٩٤٠ فضحت هذه الحقيقة بحجة « هاربر ماغازين » الاميركية حين اثبتت ان ثمة صناعيين يبيعون لالمانيا المواد الخام المستخدمة لصناعة القنابل والمدافع

التي يستعملها الألمان لقتل أفراد الشعب الفرنسي .

وفيما كانت خطة الحرب على الجناحين (فنلندا - سوريا)
تلاقي الفشل والافلاس ، كانت الحكومة الفرنسية تتابع عملها
في شل إمكانات البلاد من الناحيتين الاقتصادية والصناعية ؛
والى جانب خيانات اصحاب الاعمال الانهزاميين ، ظهر عجز
الرؤساء العسكريين وضيق افقهم ، اما الفئات الحاكمة ، بخاصة ،
فقد انشأت ، ازاء عجزها عن محاربة هتلر ، تحارب الطبقة العاملة
الفرنسية وحزبها الشيوعي .

وفي الثالث من ايلول ١٩٣٩ 'دعيت' الى الخدمة العسكرية
في الفرقة الهندسية الثالثة بمدينة آراس . وكانت الملاحه مهنتي
القديمة فعينت في فرقة للملاحه ، مرابطة في شوني ، على ضفاف
قناة سان كانتان . وفي الاسبوع الاول ، وكنا لا نزال في
« فامبو » وهي قرية صغيرة من قرى الارتوا ، زارني
بعض الرفاق من مدينة آراس . وقد جاؤوا يخبرونني بنبا الحكم
على رينيه واوغست ليكور وسيبريان كينيه النائب الذي سجنه
جماعة مونيخ وسلمه الفيشيون الى النازيين فاعدموه فيما بعد .
وقد هرب رينيه كامفات واصبح يعرف باسم الكولونيل
بودوان .

واوغست لوكور هو الذي نظم مع كالون اضراب عمال
المناجم في البادي كاليه في شهري ايار وحزيران ١٩٤١ ، ذلك
الاضراب المجيد حقاً ، وحارب اثنان من آل كامفان : بول

وموريس ، في صفوف الرماة الاحرار - وهم من الثوار -
وفي صفوف الانصار الفرنسيين ، واعتقلها الالمان واعدموهما
رمياً بالرصاص بعد ان ساموهما افطع العذاب . وقد جاء بول
قبل ذلك وزارني في فامبو ، وكان في السادسة عشرة ، فقلت
له « تدرع بالشجاعة والثقة ، فالمستقبل لنا مهما حدث ! »

وفي عام ١٩٤٣ اطلعنا على الرسالة الاخيرة المؤثرة التي
كتبها بول وهذه نهايتها :

« .. واخيراً سأغادر حياتي هذه الصغيرة ولما ابلغ الواحدة
والعشرين من العمر ، سأغادرها لكي يصبح ابنا فرنسا احراراً
سعداء ... »

« وانا لم اخن قضية الحزب ، واذلك امضي والبسمة على شفقي
والاغنية في فمي فالموت لا يخيفني . »

« الوداع يا حزبي الجميل ، العظيم ، الوداع يا بلادي القتانة
الساحرة . تقبلي تحية رجل يشرف على الموت .
« عاش الحزب الشيوعي ، عاشت فرنسا » . »

وفي اصيل احد ايام الشتاء المريرة المدهمة ، ذهبنا الى
خنادق مدينة آراس القديمة وانحنينا امام ال ١٩٣ لوحة التي تحمل
اسماء الاخوان كامفان وسائر المواطنين الشهداء ، واكثرهم من
عمال المناجم الشيوعيين الذين اعدمهم الالمان بالرصاص في تلك
الساحة ، وكنت استعبد في ذا كرتي ، وجه الفتى بول كامفان

المشرح الطلق ، يظهر لي امام هذا الوند ، حيث قيده
الجلادون .

ولم تكن قامبو تبعد عن نوايل أكثر من ١٥ كيلومتراً ،
وفي صباح احد الايام قدم والدي لتحتيني ، ولم اره بعد ذلك ، فبعد
شهور عدة ، توفي ، وطوال المدة التي مرض خلالها والدي ،
وحتى خلال الليلة التي سهر فيها اصحابه عليه وهو على فراش
الموت ، كان رجال شرطة دالاديه يحومون حول منزلنا الصغير .
وفي يوم الدفن ، هاجم الحرس المقبرة وسط سخط الآلاف من
عمال المناجم ، وجميع السكان ، فقد كان الاعداء والاصدقاء
مجمعين على احترام اسرتنا .

وكان رجال الشرطة يبحثون عني ففي ٢٦ ايلول ١٩٣٩
اصدرت الحكومة قراراً غير شرعي ، بحل الحزب الشيوعي ،
وهذا القرار يعد الشيوعيين خارجين على القانون ، والمنظمات
الشيوعية منحلة ، منذ ذلك الزمن تخطيت قراراً كنا قد
اتخذناه وهو ان « الشيوعيين ينخرطون في الجيش اذا ما دعا
الداعي » واتخذت ادارة الحزب قراراً يطلب الي التحول الي
النشاط السري ، وكان من واجب الحزب وادارته اتخاذ التدابير
التي تتيح احباط مؤامرة هتلريين وانصارهم من الخونة الذين
كانوا يهدفون الي اكنساح فرنسة والقضاء عليها .

كان من واجب الحزب ، في سبيل مصلحة فرنسا وشعبها
ان يحافظ ، مهما كان الامر ، على منظماته الشيوعية ، التي قدر

ها ان تلعب فيها بعد دوراً اساسياً في معركة التحرر الوطني ،
وكان على الحزب ان يؤمن سلامة ادارته واستمرارها ، وان
يسهر على حياة قيادته وموجهيه .

في الرابع من تشرين الاول تركت شوني ، لاستعادة موقعي
في النضال ، على رأس المناضلين الشيوعيين الذين كانوا يعانون
المطاردة والاضطهاد لانهم كانوا يفضحون الخونة من عملاء هتلر ،
وعلى الرغم من حملة الافتراءات والاكاذيب التي عانيت بها ، كان
رفاقي في الجيش ، بمن فيهم من رؤسائي ، يكونون لي الاجلال
والاحترام ، ويمحضونني تقفهم ، وقامت على هذا ادلة كثيرة ،
وقد عرفت بعدئذ ان الكولونيل قائد موقع شوني احتج وانف
من التجسس عليّ ، كما اراد له السياسيون والرؤساء ...

وكانت ذريعة الحكام لحل الحزب الشيوعي ، ومنعه من
ممارسة نشاطه ، رغبتنا في المحافظة على الصداقة الفرنسية
السوفياتية ، وكانوا يطلبون الينا انكار الرفيق ستالين ، والتخلي
عن مثلنا الشيوعي الاعلى . وقد عرف الشعب فيما بعد كم كنا
على حق . فما الذي كان احاق بفرنسة وبالعلم لولا الاتحاد
السوفياتي وجيوشه المظفرة وقائده العظيم ؟

وفي سبتمبر ١٩٣٩ كمت السلطات اقواها لكي تمنعنا من
المتفاف بالحقيقة . فمنعت صحيفة « الاومانيتيه » : صحيفة
جوريس وكاشان ، من الصدور ، وهذا التدبير التحكيمي نفسه
اصاب « سيه سوار » صحيفة جان ريشار بلوخ و آراغون ، وفي

٢٧ ايلول حياً ليون بلوم ، انتصار هتلر على حزبنا وصحافتنا
ومناخيلينا فكتب :

« احس بان اغلبية حزبنا الاشتراكي ترى في حل الحزب
الشيوعي الفرنسي تدبيراً طبيعياً عادلاً » .

وعلى رغم الاضطهاد والشتائم والافتراء والمطاردة ، استمر
الحزب الشيوعي الفرنسي يحيا ويناضل ، واتخذت الفئة البرلمانية
الشيوعية اسم « فئة العمال والفلاحين » واخذت « الاومانيتيه »
تصدر سراً .

وفي اول تشرين الاول ١٩٣٩ وجّه فلوريموند بوتني ،
امين السر العام للفئة البرلمانية الشيوعية ، الى الرئيس هريو ،
رسالة يطالب فيها باجتماع مجلسي الشيوخ والنواب لمناقشة القضايا
الخارجية مناقشة علنية ، فأجاب دالاديه بمطاردة النواب
الشيوعيين واعتقالهم .

وزج النواب المعتقلون في غياهب السجون ، الى جانب
الصوص والنشالين والقذلة ، وسيطر على فرنسا عهد لا يقيم
كبير وزن للحقوق والشرائع ، فاللاشرعية كانت هي القانون
السائد . وهكذا خرقت ايسط مباديء الديموقراطية وحرم
..... من الفرنسيين ممثلهم في الندوة النيابية ، وحلت
اقوى النقابات واعظمتها تأثيراً ، فبارك « جوهو » و « بيلان »
هذا القرار ، واعتقل مئات من المناضلين ، وسجن « بيار سيمار »

وكتب له ان لا يخرج من السجن الا لكي يسلمه جلادوه الى
خشبة الاعدام الهلرية...

ونجح بنوافرنشون في النجاة من الاعتقال ، ففضى خمس
سنوات بوجه حركات المقاومة السرية...

وتضاعف عدد ثكنات الاعتقال في طول فرنسا وعرضها .
وغصت بالمشبهين و «الخطرين على امن الدولة» ونزلت ضربات
الحكام بالالوف من العمال ، خوفاً من ان يعمد هؤلاء الى
الحياة المنظمة .

وكان نوابنا الذين لا يزالون احراراً ، يفتنمون الفرص
جميعها ، ويدللون على شجاعتهم وبطولتهم ، ويذكون النار
المقدسة في اعراق الامة . ففي ٣٠ تشرين الثاني اذن الحزب
الشيوعي لفلوريموند بونتي ، فاخترق نطاق رجال الشرطة ،
ودخل الى المجلس النيابي ، واتخذ مجلسه ممثلاً للشعب . ثم نهض
وسط تصخاب المونيخيين والحونة ، يطالب باحترام القوانين
الدستورية . ولكنه انتزع من مقعده ، وأخرج بالقوة ،
بعد ان ناله الكثير من الضرب والشتائم . وسلمه النواب
« لزملائهم » رجال الشرطة... اما الحصانة النيابية فكانت كلمة
جوفاء...

وفي التاسع من كانون الثاني ١٩٤٠ حضر الى المجلس النيابي
اربعة من النواب الشيوعيين المعاندين من ساحات القتال ، في

اجازات رسمية . ولكنهم اخرجوا من المجلس باللطم واللكم .

واثر ذلك اقترح الفاشستي شياب مشروع قانون بفسخ نيابة الشيوعيين وتجريدهم من مراكزهم ، فتصدى له اتيان فاجون وكان قد وصل في ذلك الصباح من الجبهة ، وصار عليه ان يواجه اجماع مجلس سيطر عليه شعور الحقد والخوف ، وتحكم بجميع اعماله .

ونفض شاساني النائب الاشتراكي ، وعميل فيشي فيما بعد ، يطالب « برخصة في صدغ كل نائب شيوعي » . اما بارتيلمي ، وهو نائب اشتراكي آخر ، فكان يطالب بالمقصلة للشيوعيين ، وعين النائب الشيوعي كاتيلاضحية اولى « لتجربة المقصلة... » وكان الاقدار استجابت لرغبة بارتيلمي فأعدم كاتيلافيا بعد... .

وكان تجريد النواب الشيوعيين من مراكزهم لم يصدر ، حتى ذلك العهد ، الا بمناسبة احكام عدلية جائرة ، تحرم النائب حقوقه السياسية ، اما الآن فقد استغنى الحكام عن ايما قاعدة شرعية ، فقررت السلطة التشريعية ، على نحو تحكيمي محض ، تجريد النواب الشيوعيين من مراكزهم التي نالوها في انتخابات شعبية عامة .

لقد جار اتيان فاجون بالاحتجاج العنيف الصارخ ، فقال :
بوسعكم اليوم ، يا سادة الحكومة ، ان تضطهدونا ، وان تسجنوا
بعضنا ، وتطردوا آخرين من الندوة النيابية . ولكنكم اعجز

من ان تحطموا ارادة الشعب ، ارادته في الاحتفاظ بمكاسبه
الاجتماعية ، وهي ثمرة نضاله الطويل ، ارادته في السير المستمر
على طريق التقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وهذه
الارادة الشعبية ستعبر عن ذاتها ، على الرغم من قراراتكم ،
يا سادة الحكومة ، واضطهاداتكم ، هذه الارادة ستغدو يوماً
اقوى منكم...

كانت ديكتاتورية دالاديه الرجعية تهدد الطريق لثورة
« بيتان » القومية . وفي ٢٠ آذار بدأت محاكمة النواب
الشيوعيين . وقد وجهت اليها تهمة خرق القوانين الصادرة في ٢٦
ايلول ١٩٣٩ والقاضية بحل المنظمات الشيوعية ، واتهمنا ايضاً
باننا عملنا على نشر الشعارات الصادرة عن الائمة العمالية الثالثة ،
واننا الفنا جماعة « العمال والفلاحين الفرنسيين » واصدرنا نداء
اول تشرين الاول ١٩٣٩ الداعي الى السلم والتحرر بقيادة
الاتحاد السوفياتي . وكان « القضاة » قد غيروا من نصوص
النداء وعدلوا فيها وزوروا بعض الفقرات...

وطلب رفاقنا المائلون امام المحكمة العسكرية الاستماع الى
شهادة دالاديه وبونيه ، فامتنع كلاهما عن الشهادة . هكذا
كان النواب الشيوعيون يناضلون خطوة فخطوة ، في عزم وعناد ،
ووضع الكثيرون في زنزانات منفردة لتختنق اصواتهم ، ولكن
محاميهم مارسيل ويلار ردد في ساحة المحكمة اقوال بلانكي :
« انا مائل امامكم ايها القضاة . ولكنني لا اخاطبكم وحدكم .

انني اوجه كلامي الى شعب فرنسا بأسره ، وهو اعلى محكمة للعدل ، اعرفها ، وانها المحكمة الوحيدة التي لا تقبل احكامها مراجعة ولا نقضاً...

وانهى رفيقنا ويلار خطابه قائلاً :

ايها القضاة . لا شأن لنا الا باولئك الذين زرعو الريح ، وسخروركم لكي تجتوبهم العاصفة ، اما العاصفة ، فسيلاقونها... ومع ذلك ارتدت المحاكمة طابعاً سرياً ، وحفظ المعتقلون في الزنزانات ، وافلح النواب الشيوعيون ، اثناء جلسات المحاكمات السرية ، في جلاء الحقيقة ، ودحض أكاذيب الاتهام وافتراءاته .

ودلل شهود الدفاع ، بتضامنهم مع المتهمين ، على شجاعة فائقة ، وجاء دور مارسيل كاشان ، بعد الغاء مركزه في مجلس الشيوخ ليؤدي شهادة صادقة في رفاقه المعتقلين ، وجاء صديقنا المخلص ، والكاتب الكبير جان ريشار بلوخ ، والاستاذ هنري والون ، فعبروا ، في ساحة المحكمة عن اعجابهم بالشيوعيين ، اما بول لانجفان ، وهو من اجداد العلم الفرنسي ، فقد جاهر امام القضاة بانه يؤيد المتهمين ويتبنى عقيدتهم وانه يؤمن مثلهم بإمكان تطوير العالم بل بضرورة هذا التطوير .

واعلن فرانسوا بيو في تصريحه الاخير امام المحكمة ، بانه يحمل ورفاقه بصراحة ، تبعة ما يؤمنون به ، وما ينشطون في

سبيله ويجاهدون ، سواء بالقول او بالكتابة او بالعمل .

« نحن نحب فرنسا ، وما يؤلف فرنسا ويبنى كيانها اعني شعبها... نحن نحب شعب فرنسا ونرغب في تحريره من اولئك الذين يريدون ان يقودوه نحو الحراب والقبور... نحن اميون ، ولذلك نعتبر كل انتصار تحرزه الطبقة العاملة ، في اي بلاد كانت ، انتصاراً لنا... نحن ننظر الى بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي على انها المرحلة الاولى من مراحل الثورة العالمية التي ستؤدي الى تحرير الشعوب من الاضطهاد والحروب ، ونحن انما نعمل لتحرير بلادنا ، عاش الحزب الفرنسي ! عاش الاتحاد السوفياتي ! عاشت فرنسا قوية سعيدة حرة ! »

وماذا كان حكم القضاة ؟ لقد حكموا بالسجن خمس سنوات ، وبغرامة قيمتها خمسة آلاف فرنك ، وبفقدان جميع الحقوق المدنية والسياسية على كل من الـ ٢٦ نائباً شيوعياً الذين كانوا قيد الاعتقال ، وعلى سائر النواب الذين كانوا فارين .

وفيما كانت الحكومة الفرنسية تحقق انتصاراتها الساحقة على النواب الشيوعيين ، فتنازلت عنهم كما يجلو لها ، خلا الجو للخونة النازيين والجواسيس الهتلريين ، فجعلوا يمارسون نشاطهم احراراً من كل قيد .

وبعد اسابيع قلائل انطلقت الجحافل الهتلرية في هجومها على فرنسا . لقد عمل الطابور الخامس وسائر رجال هتلر المناهضين للشيوعية فأحسنوا العمل . وكانت فرنسا غنيمة باردة للنازيين ، بعد ان خضعت وانحلت ودب فيها الشقاق والحور .

بدأ الهجوم الألماني في العاشر من نوار ١٩٤٠ في بلجيكة
واللوكسمبورج ، وكان الجيش الفرنسي بالاضافة الى المعونة
البريطانية والبلجيكية والهولندية ، اكبر عدداً من الجيش
الألماني ، ولكنه كان يفتقر الى الطائرات ، اما مدرعاته التي
كانت تعدل او تفوق المدرعات الألمانية بالعدد والنوع ، فلم
تكن موزعة في الجبهة ، على شكل وحدات مدرعة كبرى .

واثر اشتداد هجمات الطائرات الألمانية والدبابات تحطمت
خطوطنا في « سيدان » وتدفقت جيوش العدو نحو السوم ثم
انكفأت نحو الشمال ، مطوقة افضل فرقنا التي غامرت بنفسها
في بلجيكة وعادت الآن تنسحب شطر دانكرك مع الجيوش
البريطانية ، وافلح جزء من الجيوش الحليفة بركوب البحر ،
اما الاعتدة ففقدت كلها .

بعد هذه الكارثة أقال رينو الجنرال غاملان واستدعى
ريغان لقيادة الجيوش الفرنسية . فجاء القائد الاعلى الجديد
واستكمل المهزومة ، فكيف يستطيع الرجل الذي فكر طويلاً
بالزحف على باكو ، ان يوقف الزحف الألماني على باريس ؟

ان الروح الرجعية التي تحرك هذا الجنرال ، المشبع بجميع
اوهام العرق ، والذي يكره الشعب ويحقد عليه ، ويقاوم
الحركة العمالية العالمية (فقد حارب الجيش الاحمر في بولونيا عهد
معركة ١٩٢٠) هذه الروح المنعصبة الربداء ، ظهرت جلية اثناء
الاسبوع العصيبة التي شهدت انطلاق المدرعات الألمانية شطر

السوم والبرانس .

وكان بول رينو قد اصطفى ديفول اميناً عسكرياً لسر
الدولة ، واشرك ، من قبل ، بيتان في حكومته ، وعين
الجنرال دانترز حاكماً لباريس ، فسارع هذا الجنرال النازي الى
اعلان باريس مدينة مفتوحة ، وفيما كانت جيوشنا تتراجع ،
وتتراجع ، كان وزراءنا وقوادنا لا يفكرون الا في اخطباء
العمال ، وزيادة غضبة الشعب بتدابير جائرة طاغية . وفيما كان
تهديد الالمان لباريس يتعاضم ساعة فساعة ، حملت جنتنا المركزية
الى الحكومة ، يوم السادس من حزيران ، المقترحات التالية :

يرى الحزب الشيوعي ان من الخيانة تسليم باريس للمجتاحين
النازيين ، ويرى ان اول الواجبات الوطنية تنظيم الدفاع عن
العاصمة ولهذا يجب :

(١) تطوير مظهر الحرب ، وتبديل طبيعتها ، وجعلها حرباً
وطنية قومية في سبيل الاستقلال والحرية .

(٢) اطلاق سراح النواب الشيوعيين والمناضلين وكذلك
عشرات الآلاف من العمال المعتقلين بلا سبب .

(٣) المبادرة الى اعتقال عملاء العدو ، الذين تزخر بهم
مجالس الوزارة والبرلمان والقيادة العسكرية ، وبعد اعتقالهم
يحاكمون ويعاقبون باقسي العقوبات ليكونوا عبرة لسواهم .

(٤) ان هذه التدابير الاولية ستلهب ولا شك الحاسة

الشعبية وتتيح نبضة جماهيرية ثورية ، على الحكومة ان تعمل لها بلا ابطاء .

(٥) يجب تسليح الشعب ، وتحصين باريس حتى تصبح مدينة منيعة تعز على دبابات العدو وصاراته .

اقترحنا على الحكومة تسليح الشعب ، ومناجزة الاعداء حتى آخر رمق ، فأجابت بالاستسلام .

اراد الشيوعيون ان يستقبل الشعب الاعداء الهتارين في العاصمة ، بطلقات البنادق ، ولكن ويفان كان يرى غير هذا الرأي ، فاسمعه يصرح : « اذا دخل الالمان باريس ، فالحكومة ترى من واجبها المعنوي ان تستقبلهم فتحسن استقبالهم » .

وفي الثاني من حزيران اجتمع الوزراء في « كانجاي » بتورانيا . وكان بحرك ويفان - كما يقول برتيناكس في كتابه « حفارو القبور » حقه العارم على احزاب اليسار والاشتراكيين ، والبناء الاحرار ، والديموقراطية ، والمؤسسات البرلمانية ، هذا الحقد الذي تحول الى جنون ، بعد اقالته من مركزه في كانون الثاني ١٩٣٥ وظل يصاحبه مدى حياته ، ودفعه في ذلك الاجتماع الى المعارضة بانشاء موقع للحكومة في جبال بريتانيا ، وان يطالب بالاستسلام دون قيد ولا شرط ، وايدة وينو وبيتان ، وفي اليوم التالي ، في مدينة تور ، لجأ الجنرال البسيم الى الكذب والتهويش :

« فقد وصل الى اجتماع مجلس الوزراء متأخراً ، فوجه كلامه الى رئيس الجمهورية واعلنه ان موريس توريز احتل قصر الاليزيه — مركز رئاسة الجمهورية في باريس — وتسلم الاحكام في فرنسا ، فنهض ماندل وخاطب مدير البوليس بالهاتف فاتضح كذب ويفان ، فثار هذا وخاطب مندل بقوله : ماذا ؟ او ترتاب في قولي ؟

كان خلفاء تيريس وتروشو يحركون شبح « الكومون » المرعب ويجهدون بذلك ليقنعوا زملاءهم المترددين بانجاز سياسة تعاون مع هتلر .

وادت الحطة الشنيعة التي دبرها بيتان ووينان ولافال الى هزيمة روتوند واتفاقيتها المخزية (٢٥ حزيران) فسلم هؤلاء ثلثي اراضي فرنسا الى المانيا ، وجردوا قوانا الحربية من الاسلحة ما عدا القوات اللازمة لحفظ الامن ... وكانت على اولي الامر تسليم جميع الاعتدة والاسلحة الموجودة في فرنسا غير المحتلة ، وكان عليهم وضع الاسطول الفرنسي قيد المراقبة الالمانية ، ودفع ٥٥٠ مليون فرنك يومياً لنفقات جيوش الاحتلال . وكان مليون ونصف المليون من الاسرى الفرنسيين في ايدي الالمان .

والعصبة التي سلمت فرنسا لهتلر وجدت في الهزيمة ظرفاً مناسباً منشوداً لتركيز دعائم الفاشية في البلاد ، وكان انتصار الرجعية ، تدعّمه حراب الجيوش الاجنبية ، وتباركه القيود التي

ترزح فيها الأمة « مناسبة إلهية » امتدحها شارل موراس
« صاحب نظرية القومية الكاملة... »

وفي فيشي ، يوم العاشر من توز ، وبعيداً عن الجماهير
الشعبية ، كان لافال يكتفم آخر انقاس الجمهورية ، وكان المجلس
النيابي المسترق يوقع وثيقة اعدامه بيده ، وكان ذلك آخر عمل
لهؤلاء النواب اذ سمحوا بمنح المراسيم التشريعية للحكومة ، فتخلوا
شيئاً فشيئاً عن سلطانهم في المراقبة والتشريع ، ورضوا بجرمان
النواب الشيوعيين مراكزهم النيابية دون مبرر .

هكذا تلاشت الجمهورية الثالثة من دون مجد ؛ وفي الماضي
قاد خطاها الاوئى ماريشال منهزم ، واليوم يحملها ماريشال
منهزم الى مطاوي التراب... من ماكاهون الى بيتان...

في ذلك النهار نفسه الذي شهد سياسي البورجوازية
يستعيدون تقاليد « فرساي » ، ويركعون على اوحال الهزيمة ،
ويسجدون للحكم الفردي الطاغى ، كنا نحن خلفاء ابطال
« الكومونا » نعلن ايماننا الراسخ بمستقبل فرنسا ، وبانتصار
الديموقراطية .

فقد اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى بياناً
موقعاً باسمى وباسم ديكاو ، نشرته صحيفة الاومانيتيه السرية
جاء فيه :

« لقد عرفت فرنسا الهزيمة والاحتلال والذل ، ولكن فرنسا

التي لا تزال دامية الجراح تريد ان تعيش حرة مستقلة ، فشعب
عظيم مثل شعبنا لن يغدو ابدأ شعباً من الارقاء ، ولن تصبح
فرنسة قط ضرباً من البلدان المستعمرة ، ففرنسة ذات التاريخ
المجيد لن تجثو امام عصبة من الخدم المستعدين لجميع
الاعمال الحقيرة ؛ وليس القادة المدحورون ، ولا اصحاب
الاعمال ، ولا السياسيون المفلسون ، هم الذين يستطيعون انهباض
فرنسة ، ففي الشعب وحده تكمن كبريات الآمال في التحرر
الوطني الاجتماعي ، وحول الطبقة العاملة النشطة الكريمة ،
المتلمة بالثقة والبسالة ، يمكن ان تتألف جبهة النهضة والحريّة
والاستقلال .

اما الجنرال ديغول ، فقد اعلن من اذاعة لندن ، في العاشر
من حزيران : انا ، الجنرال ديغول ، الموجود الآن في لندن ،
ادعو الضباط الفرنسيين ، والجنود النازلين في الاراضي
البريطانية ، اليوم او في المستقبل ، مع اسلحتهم ، او بدون
اسلحة ، وادعو كذلك المهندسين ، والعمال المختصين بصناعات
التسلح ، ادعوم جميعاً الى الاتصال بي ...

اسلحة ... تسلح ... صناعات التسلح ... انا ديغول ...
هكذا كانت ترتسم قضية فرنسا وشعبها في ذهن هذا الجنرال
الاحمق ... وفيما كانت كل شيء على ارض الوطن
- المؤسسات والاحزاب - يفرق في الاضطراب ، او يتزلق
الى الحياطة والنذالة ، كان حزبنا الشيوعي يسير وحده في الطريق

التي تؤدي بالبلاد الى الحرية والنصر ...

وكان القبشيون يتحدثون ، في نفاق ما بعده نفاق ، عن « الثورة القومية » وكانوا ينشرون صيغهم الخداعة : « مراقبة الاقتصاد على قاعدة غير رأسمالية ، ومكافحة التروستات ، والعودة الى الارض ، والغاء صراع الطبقات ، وجعل الدولة فوق الطبقات ... الخ ... الخ ... » ولكن من وراء واجهة « الانسجام الاجتماعي » (الذي كان ينادي به بيتان) كانت جماهير العمال تكتشف يوماً بعد يوم حقيقة الاضطهاد القاسي ، والعبودية السوداء .

وكانت اكدوبة « الثورة القومية » هذه، تتيح للامان، في الدرجة الاولى ، نهب فرنسا نهياً منظماً ، فكلوا يستولون على كل شيء : على القمح والنييد والمواد الغذائية والاولية والحيوان والمنتجات المصنوعة ، والعدد الصناعية والسيارات والمحركات والمركبات ...

وهكذا لم تكن الالارأسمالية القبشية الا تهبشاً وخداعاً شأنها في ذلك شأن الالارأسمالية الفاشية .. ومن البدهي انه ليس ثمة اشتراكية حيث يحتفظ الاقتصاد بنحط الانتاج الرأسمالي ، وغايته انتاج راس المال ، والبحث عن الكسب الرأسمالي ، ويترتب عليه حتما استثمار الانسان للانسان ، فالقبشيون كانوا يرون ضرورة الكسب الراسمالي ، وهذا ما اعلنه بيتان في خطابه بسان اتيان ، اما رجال المثني عائلة ، واصحاب

التروستات فقد جهدوا لوضع الاقتصاد الفرنسي في خدمة المانيا .

وكان الفيشيون يتحدثون عن العودة الى الارض ، فكانوا يستجيبون لرغبات الاستعمار الالماني الذي كان يريد تأسيس نظامه الرأسمالي في طول اوروبة وعرضها ، بحكر الصناعة وارغام البلاد الاخرى على الاكتفاء بالانتاج الزراعي . والواقع ان حاجة فرنسا ، في عهدها الطبيعية ، لم تكن الايدي العاملة ، بل الآلات والاسمدة ، والبذور المؤصلة والقروض ، والطرق المعبدة الصالحة ، والكهرباء ، والمياه الخ...

وكانت فرنسا تنتج قبل الحرب ، من القمح ، اكثر من حاجتها ، وكانت اعظم بلد منتج للخمور في العالم .

وازدادت الحالة في الارياف سوءاً على سوء ، وكان الالمان يصادرون المحصولات والماشية والحياد . وبلغ عدد الفلاحين المعتقلين ٨٠٠٠٠٠ فلاح .

لقد اعلن بيتان « الغاء صراع الطبقات » ولكن عهده ، يعني عهد المتني عائلة ، كان التعبير عن معركة عنيفة يخوضها المحظوظون الآسرون ، ضد الشعب الفرنسي ، وكان الفيشيون قد سلوا ما تبقى من الحريات الفردية والنقابية والبلدية والقوا ، بقيادة الجستابو ، جيشاً من رجال الشرطة الجواسيس ، وبثوا آذانهم في كل مكان... وعينت العناصر المشهورة برجعتها في

جميع مراكز الإدارة والشرطة في الجيش والبحرية وسائر
الملاكات...

وكان العمال والوطنيون يلاحقون ويُسجون ويعذبون
ويشنقون أو يقادون إلى خشبة الأعدام .

وكان الفيشيون يدعون إلى « الثورة القومية » ويقدمونها
إلى الناس على أنها « تجديد معنوي وروحي ، وبعث مناقبي »
والواقع أن هذا التجديد كان بمثابة عودة إلى الوراء ، نحو
الماضي الوحشي السحيق ، فلم تكن نظرية « الدين الضروري
لخدمة الشعب » بأكثر شيوعاً منها في عهد فيشي ، فعادت
الكنيسة مؤسسة حكومية ، وكان بيتان ووزراؤه يحضرون
الحفلات الدينية ، تحف بهم مظاهر الآبه والعظمة ، وأعلن في
طول البلاد وعرضها أن الهزيمة التي حلت بفرنسا إنما جاءت
جزاء وفاقاً خطايا الشعب ، وكتبت الصحيفة الكاثوليكية
« الجمهورية » تقول : أن هزيمة فرنسا نعمة من الله ، وذلك
لأنها تتيح للماريشال أن يقوم بالمعجزة ، ويرقى بعنوانات الأمة ،
وينقذ الروح الفرنسية .

وإذا كانت جماهير الفرنسيين الكاثوليكين ظلت على وفائها
لفرنسة فان كبار رجال الكنيسة لم يجرموا الخائن بيتان
معاونتهم ، بل أيدوه في سياسة الخضوع لهتلر ، وقد هتف
الكاردينال جريليه يوماً : « بيتان هو فرنسة ، وفرنسة هي
بيتان ! »

وأعلنت الحرب على المدرسة اللادينية ، والتعليم اللاديني ،
والمعلمين اللادينيين ، وعدلت المناهج المدرسية وفقاً لروح رجعية
متعصبة ضيقة ، معادية لفرنسة . و « طهرت » كتب التاريخ
بما يمكن ان يذكر الروح الوطنية ، فشوهت الثورة الفرنسية
العظمى ، واصبحت انتصارات يوفين وفالمي على النمسة والمانية
لا تعد اجماداً قومية !

هكذا كانت تلك « الثورة القومية » التي قام حزبنا يدعو
الشعب الى مكافحتها منذ ايامها الاولى .

وجاء في صحيفة الدايلي تلغراف ، بعدها الصادر في ٢٠
كانون الاول ١٩٤٠ :

« ان الحزب الوحيد الموجود في فرنسة هو الحزب الشيوعي ،
وان كان حزباً سرياً ، وقد اوقف في الشهر الماضي اكثر من
الف مناضل من اعضائه ، وهذا الحزب يقوم بنشاط عجيب
مناهض للامان يرتكز على اعمال التخريب ، ويعبئ القوى ،
ويوزع المنشورات التي تخاطب الحس الوطني الفرنسي ، وتلهب
عواطف الشعب » .

وفي الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٤٠ تجمع طلاب باريس
وانطلقوا نحو شمال الجندي المجهول ليحتفلوا بذكرى هذا
الجندي ووضعوا على تمثاله اكاليل الازهار والتظاهر ضد الجيش
المحتل ، فأطلق المتاريم الرصاص ، واسقطوا بعض القتلى
والجرحى من الطلاب ، وبعد ايام علمت فرنسا ان بيتان ولافال

تخلياً عن الأتراك واللوين هتلر ، وان الألمان يخلون القرى ،
في هاتين المنطقتين ، من سكانها الأصليين ، دون ان يسمحوا
لهم بحمل شيء عدا اوراقهم الشخصية... وكان حزبنا هو الهيئة
الوحيدة التي رفعت صوتنا بالاحتجاج المدوي، واذاقت نداءات
صاخبة ونشرتها في جميع أرجاء البلاد...

وفي السابع والعشرين من نوار ١٩٤١ اعلن عمال المناجم
في الشمال والبادي كاليه اول اضراب كبير ضد المحتل ، على
الرغم من اعمال القمع الوحشية القاسية .

وفي الخامس عشر من نوار اعلنت لجنتنا المركزية التصريح
التالي : « ان الحزب الشيوعي الفرنسي ، الذي يضع نصب
عينيه تحقيق وحدة البلاد ، ونبيل استقلال الوطن ، ويضع ايضاً
مصالحه البلاد فوق كل مصلحة ، يصرح رسمياً بأنه مستعد ، في
سبيل خلق جبهة واسعة للتحرر الوطني ، ان يدعم كل حكومة
فرنسية ، وكل منظمة ، وكذلك جميع الرجال الذين تتجه
جهودهم شطر النضال الصحيح ضد الاضطهاد الذي تعانيه فرنسا،
و ضد الخونة الذين يعملون في خدمة المحتل .

ومنذ اواخر ١٩٤٠ كان الشيوعيون قد الفوا نواة لمنظمة
عسكرية متلائمة مع شروط النضال السري والارهاب الفاشي .

وجاء الاعتداء الهتلري على الاتحاد السوفياتي فاذا كى روح
النضال في صفوف المواطنين الفرنسيين، وبخاصة ، منظمة النضال
المسلح ، فقد ادرك المواطنون ان تناسباً جديداً بين القوى قد

وجد ، وان انصار حرية الشعوب واستقلالها واتقون بالنصر ، وحتى ذلك التاريخ كان كثير من الفرنسيين يحتفظون بتشاؤمهم وشكهم في تحرر البلاد ولكن منذ ٢٢ حزيران ١٩٤١ كان المواطنون يقولون : لم نبق وحدها . فنحن نستطيع التحرر والى جانبنا حليف كالاتحاد السوفياتي .

ونشطت المعركة ضد المحتل ، وغدت اكثر قوة وتنظيماً ، وتضاعفت حوادث التخريب ، والاعتيالات ، والحوادث المسلحة ، واثار خطاب ستالين ، في الثالث من تموز ١٩٤١ ، امتلأت جدران مدينة سان اتيان بالكتابات : « عاش الجيش الاحمر ! » « عاشت روسيا السوفياتية » وفي الرابع من تموز ، في باريس ، سارت المواكب والمظاهرات ، وفي جميع ارجاء فرنسا ، هوجمت الدوريات الالمانية ، ونسفت مخازن الذخيرة ، وفي البادي كاليه تألفت سرازم الرماة الاحرار ، وجماعات الانصار بقيادة البطلين شارل ديبارج وجوليان هابيو اللذين اعدمهما الالمان بالرصاص فيما بعد .

وانخذت هذه القوات تهاجم الالمان بالقنابل اليدوية ، في هينين لياتار ، واوشيل ، وهارن ، وتخرج القطارات عن خطوطها ، وتنسف المصانع ، اما في باريس فالرماة الاحرار الشيوعيون ، جعلوا يهاجمون الالمان حتى في ساحة الكونكوردي .

وضاعفت حركات القمع القيشية والهتلرية من قوتها ، وغطى الغستابو الجدران بالبيانات التائرة المهتدة . واعلنت بمساعدة

بعض الحوثة « الفرنسيين » قوائم من اسماء الرهائن . وكان
بيشو ، وزير الداخلية في حكومة بيتان ، يحكم بوساطة
جواسيسه ورجال شرطته ، وينشيء المحاكم الخاصة التي تلتئم
وفقاً لاهواء الالمان ، وتحاكم المتهمين دون ان تتيح لهم فرصة
الدفاع عن انفسهم ، وهوت المقصلة على عنق جان كاتيللا ،
النائب الشيوعي ، واحد المحاربين القدماء في فردان ، واثارتي
هذه الجريمة حين علمت بنباها ، فما كنت استطيع ان اصرف
تفكيري عن هذا المشهد المفزع ، فكنت اتصور رأس رفيقي ؛
وصديقي ، هذا الرأس ذا القسمات الفتيّة العازمة ، تقطعه شفرة
المقصلة ...

وفي ربيع عام ١٩٤١ اعتقل غابرييل بيرو ، الرجل الذي
ناضلتُ معه عشرين عاماً في صفوف الشبيبة الشيوعية ، والذي
فضح سياسة دالاديه - بونيه بشجاعة ما بعدها شجاعة ، وفي
الخامس عشر من كانون الاول اعدمه الالمان بالرصاص على
جبل فاليريان ، وقبل موته بساعات قلائل كتب :

« عدت الى ضميري ، آخر مرة ، اتفحصه وابلوه ، وكان
عملي ايجابياً جلياً ، انني على يقين بما وجدت . ولو قدر لي ان
استعيد حياتي ، لسرت في طريقي التي سلكتها من قبل ، لقد
قضيت هزيعاً طويلاً من ليلتي الاخيرة افكر فيما قاله - بحق -
رفيقي وصديقي فايان كوتيرييه ، وهو « ان الشيوعية شباب
العالم » وانها تهيب الغد المنشد... بعد قليل سأهيب لرفاقي الغد

المنشد ... »

وبعد اشهر اعدم الالمان بيار سيار ، زعيم عمال السكك الحديدية وامين السر العام للحزب الشيوعي سابقاً ، وقد اوقف منذ اوائل الحرب ، والسطور التي كتبها قبيل موته تبين الى اي الذرى تسوس شجاعة المناضلين الشيوعيين ، والى اي مدى يبلغ وعيهم :

« ان افكاري الاخيرة معكم يارفاق النضال ، انها مع اعضاء حزبنا العظيم ، ومع جميع المناضلين الفرنسيين ، ومع المحاربين في صفوف الجيش الاحمر السوفياتي ، وقائده ستالين العظيم ، وداعاً يا اصدقائي الاعزاء ، ان ساعة موتي تقرب ، ليكني اعلم ان النازيين الذين سيعدمونني قضي عليهم بالهزيمة ، وان فرنسا ستناضل نضالها العظيم . عاش الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه ! عاشت فرنسا ! »

واذكت بسالة ابطالنا ، وعظائم الانتصار ، ارادة الجماهير الشعبية ودفعتها الى النضال ؛ وفي ٢٢ حزيران ١٩٤١ ، وهو يوم الذكرى السنوية لعدوان الالمان على الاتحاد السوفياتي ، فر تسعة عشر شيوعياً وعلى رأسهم جورج كونيو من معتقل روياليو ، بجفرهم نفقاً تحت الجدران ، وكان اخي لويس بين الفارين ، ولكنه اعتقل وسلم الى الهتلريين فأعدموه رمياً بالرصاص .

وهوت قبضة الالمان على المناضلين من عمال ومثقفين ،

فكانت تقدمهم بالثبات ، ولا بد ان اذكر من بينهم بوليتزر
وسالمون ، وبيتار وفيدلمان... الخ...

وأهبت ذكرى الشهداء ، مناضلين آخرين، فأقام الرماة
الاحرار حواجزهم في طرقات الامان ، وفتكوا بالكثيرين
منهم ، وهاجموا القوافل ، والقوا قتابل يدوية كثيرة على ثكنات
الاعداء ، وفي ١٩ نوفمبر ١٩٤٢ تحول الجيش الاحمر الى الهجوم
امام ستالينغراد ، وفقاً للخطط التي وضعها ستالين بنفسه ،
وكان ذلك الهجوم نقطة تحول خطير حاسم في مجرى الحرب .
وفيما كان الجنود السوفيياتيون يثبتون اقدامهم في ساحة القتال
ويدافعون عن المدينة بيتاً فيتاً ، وطبقة طبقة، وغرفة غرفة ،
وسط ركام الخرائب ، كانت الفرق الروسية تعمل شمالي
ستالينغراد وجنوبها تحرق خطوط الاعداء .

وانطبقت هذه الفرق على جيش هتلري يبلغ عدد رجاله ٣٣٠٠٠٠
رجل ، فسحقته سحقاً وأسر ٩٠٠٠ رجل منهم ، ومن شواطئ
القولغا بدأ ذلك الزحف السوفياتي العنيد، شطر الغرب، الذي قدر
له ان يقود المنتصرين الى ابواب برلين، بعد معارك ضارية قاسية.
وساعد صمود الجيش الاحمر والتضحيات الكبرى التي بذلتها
الشعوب السوفيادية على ايجاد فرصة هيات للولايات المتحدة وانكسرت
وقتاً للتأهب، وفي الثامن من نوفمبر ١٩٤٢ نزلت قوات الحلفاء
الى افريقيا الشمالية ، ولكن نزولها لم يؤلف الجبهة الثانية التي
كانت تنتظرها وتلح في طلبها الشعوب الخاضعة للثير الهتلري...

والمناضلون على جبهات الشرق ، الذي قضي عليهم ان ينتظروا
ثمانية عشر شهراً وان يتحملوا وحدهم اعباء الحرب ...

واثر معركة ستالينغراد ، رأى شطر من البورجوازية
الفرنسية ان القضية الهتلرية خسرت ، فالتقى الحارطة الالمانية على
الارض واستبدل بها الحارطة الاميركية ، ووصل الى افريقية
فيشيون خونة واحتلوا مراكز رسمية !

كان نزول الحلفاء الى الشواطئ ، الافريقية « يساعد - كما
صرح ستالين - على انشاء قاعدة تنظيم جيش فرنسا ضد هتلر. »
واصبح ممكناً توحيد جميع القوى الفرنسية وتنظيمها لاستعجال
الهزيمة الهتلرية ، على ان يستبعد الانهزاميون والمتعاونون مع
العدو . واسهم في الحملات والمعارك المؤدية الى النصر ، المناضلون
في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري ، والنواب الشيوعيون
السبعة والعشرون الذين اطلقهم الجنرال جيرو في ٥ شباط
١٩٤٣ . والمناضلون الشيوعيون الاربعمئة الذين افلتوا من
معتقلات افريقيا .

وبعد يومين من اغراق الاسطول الفرنسي في طولون (٢٥
تشرين الثاني ١٩٤٢) اجتمع مندوب عن لجنتنا المركزية ،
ومندوب عن الجزائر ديفول ، واتفقا على منهج للعمل المشترك ،
مؤسس على تفاهم وثيق بين الحزب الشيوعي الفرنسي والقوات
الفرنسية الحرة ، لاعداد الثورة الوطنية .

وفي كانون الثاني ١٩٤٣ وصل فرنان غرانييه مندوب

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الى لندن واتصل باللجنة الفرنسية لتحرير الوطني. وفي شهر آذار تألف في فرنسا المجلس الوطني للمقاومة وفيه يمثلون عن الاحزاب السابقة ، والسي جي تي ، والنقابات المسيحية ، وسائر حركات المقاومة ومنظماتها .

وكانت اهدافنا في اللجنة الفرنسية لتحرير الوطني تتلخص في خمسة مطالب اعلنها جاك ديكلو ، في الثالث من كانون الاول ١٩٤٣ ، في صحيفة الانسانية الصادرة سراً :

« انشاء جيش قوي ، وتسليح المواطنين ، ومعاقبة الخونة ، وتطهير الدوائر العامة ، والمناداة بسياسة ديموقراطية اجتماعية ، من شأنها ان تذكى الحماسة لمعركة التحرير ، وسياسة اخاء حقيقي بين فرنسا وبلاد ما وراء البحار (المستعمرات) . وان تمارس فرنسا دوراً اعظم نشاطاً في الامم المتحدة لتطوير جهودنا الحربية» وفي نيسان ١٩٤٤ انضم بيو غرانديه الى اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني استجابة لرغبات الجماهير الشعبية .

وفي نوار ١٩٤٣ سافرت بوصفي عضواً في مكتب الاممية الشيوعية ، الى موسكو ، واشتركت في المناقشات التي اادت الى حل مجلس الاممية . وخلال ربع قرن ، حركت الاممية الشيوعية والهمت ، وقادت معركة المستثمرين ضد المستثمرين ، في جميع بلاد الدنيا ، وحافظت هذه الاممية على تعاليم ماركس وحماتها من المزورين اتباع الاشتراكية الديموقراطية ، وجمعت

العمال الثوريين في احزاب عمالية سليمة . ونظراً الى المرحلة التاريخية الجديدة ، ونظراً لتنوع الحركة العمالية في كل بلد وتفاوت درجاتها وقواها ، رأى مكتب الاممية ان شكل التنظيم الاممي اصبح لا يفي بمتطلبات النضال ، وكنا نستوحي ماركس وانكلز فيما نعمله ، فقد عمدا الى حل «الجامعة الشيوعية» (١٨٥٢) ثم حل الاممية الاولى بعد ان ادت دورها التاريخي واثقت الدعائم لانشاء الاحزاب العمالية (١٨٧٦) .

وقررنا ان نقترح على الاحزاب الشيوعية المنضمة الى مجلس الاممية حل الاممية الشيوعية بوصفها مركزاً لادارة الحركة العمالية العالمية فوافقت هذه الاحزاب على اقتراحنا بالاجماع .

وفيا كان الجيش الاحمر يتقدم ، كان النضال ضد الهتلريين يشتد ، ففي عام ١٩٤٣ قام الانصار بالنفي هجمة حربية على الخطوط الحديدية ، وقام الطيران الحليف مجتمعاً بالف وستمئة ، ورغم هذا كان قادة الحلفاء يرفضون امداد مناخيلنا بالاسلحة ، وفي ايلول ١٩٤٣ قام الانصار الكورييسكيون وحرروا الجزيرة وطردها الالمان والايطالين منها .

وفي عام ١٩٤٤ انضمت قوات الانصار والرماة الاحرار الى سائر القوات المسلحة وكان قائد الجبهة الداخلية رفيقنا الجنرال جوانفيل ، واصبحت المعركة اعظم اتساعاً واكثر جدوى . ومهدت ، على نحو مفيد حقاً ، لتزول قوات الحلفاء . وبعد حوادث ٦ حزيران شهدنا ثورة حقيقية جماهيرية في مقاطعات

بريتانيا والالب والبرانس واجورا . وثمة دوائر حررت نفسها
بنفسها .

كان ذلك هو البعث القومي حقاً . وعند اقتراب جيوش
الحلفاء ، وجنودنا القادمين من افريقيا ، نهضت باريس ضد
المحتلين ، في آب ١٩٤٤ ، وتحمرت . وهناك ايضاً كان
الشيوعيون في الصفوف الاولى من المعركة .

هكذا انقذ الشعب فرنسة مرة اخرى . وخيل الي ان
مستقبلاً مشرقاً ينتظر شعبنا الذي طالما ناضل وتعذب
ليمحو اخطاء حكامه وجرائمهم ، وقد حدد المجلس الوطني للمقاومة
في منهاجه الصادر في ١٥ آذار ١٩٤٤ المبادئ التي تساعد على
تأسيس ديموقراطية جديدة ارحب افقاً مما عرفته فرنسا في
ماضيها . واقترح المجلس ايضاً التدابير التي يجب الاخذ بها ،
عقب تحرير البلاد ، وكان يطالب بمعاينة الحونة ومصادرة
اموالهم ، وتأميم وسائل الانتاج الكبرى التي خضعت في عهد
بيتان لشركات الحصر والحكر ، وكان يطالب باشتراك العمال
في ادارة الاقتصاد ، وقرار حق العمل وحق الراحة ، وانشاء
منهج كامل للضمان الاجتماعي ، ورفع مستوى حياة العمال ،
واعطاء الشيوخ المتقاعدين ما يكفيهم من المال لحياة شريفة ،
وتوسيع دائرة الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية في
فرنسا ومستعمراتها ...

كانت هذه المطالب جميعها تساعد على تأسيس جمهورية

جديدة ، وكان من شأنها ايضاً ان تمد المؤسسات الديمقراطية ،
بفعالية افتقرت اليها قبل الحرب ، فسقطت فرنسا في شرك الخونة
والانهزاميين .

والمت بالبلاد انتفاضة شعبية كبرى ، وحركتها من اقصاها
الى اقصاها ، وكان الناس متعطشين الى حياة جديدة ، وبدأت
قوى الرجعية تستر وتختفي ، فقد كان الذين تعاونوا مع العدو
يرتجفون فرقاً من ساعة الحساب . واخذوا يعملون ، في السر ،
لتحطيم اندفاع المواطنين ، وشل عزائم الشعب ومعنوياته ،
وشعرت وانا في موسكو ، بهذه المؤامرة ، وحاول الرجعيون
ان يؤخروا عودتي الى فرنسا ، بمناورات افغوانية ناعمة ولكن
النقمة الشعبية وقفت بالمرصاد واحبطت المؤامرات الرجعية ،
وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني وصلت الى باريس .

ولم تكن المعركة قد انتهت بعد ، فالالمان مازالوا يهددون
ستراسبورج ، وبعض قواتهم تلجأ الى معاقل الشاطي ، وتحتل
دانكرك ، ولورويان ، وسات نازير ، ولاروشيل ، واثر
نزولي من الطائرة تأهبت للخطابة في سكان باريس الذين سبق لي
ان حذرتهم من عواقب السياسة المونيخية .

وفي مساء ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٤ ، في صالة فيل ديف
الكبرى ، وامام جماهير كهريبتها الحماسة والنشوة فأخذت تصفق
وتغني وتهتف ، فيما ملأت عشرات الالوف من السكان الطرقات
المجاورة ، حتى بلغت ضفاف السين ، وقفت اخطب في الجماهير ،

واناشدهم الاتحاد لنيل النصر ، وكنت اطلب ، باسم الحزب الشيوعي ، ان يحقق الشعب تسليح الجنود ، واعادة بناء صناعتنا، ومعاقبة الخونة، والثقة بالشعب في بناء الدولة، والاعتماد على صداقة الاتحاد السوفياتي ، واعداد نهضة الوطن وخلقها باتحاد القلوب واتحاد العقول ، وكنت اطالب بالعمل في جهد عظيم واخلاص اعظم والنضال في سبيل انشاء فرنسة ديموقراطية حرة مستقلة .

وكانت شعارات حزبنا للمستقبل «الاتحاد والعمل والنضال» وفي كانون الثاني ١٩٤٥ اثناء اجتماع اللجنة المركزية بايثري ، اوضحت ضرورة استخدام جميع موارد البلاد وزيادة جهودها في سبيل النصر وكانت جميع المناحي التي امامنا ، من اقتصادية وثقافية وسياسية واجتماعية ، تشكل مهمات شاقة ، من البناء والاصلاح ، تتطلب من الفرنسيين جهوداً صامدة مستمرة ، وما كان يكفي الشعب التضمض بعبارات تنادي بعظمة فرنسة وخلود مجدها ، بل كان عليه ايضاً ان يعمل في عزم واصرار ، وان يناضل ، كما ناضلنا ، لطردهم العدو المحتاح .

وكان فايبيان ، بطل الرماة الاحرار ، والانصار ، الذي سقط في ساحة الالزاس ، يدلنا ، بحياته واستشهاده ، كيف يحسن ابناء الشعب النضال ، ان تضحيات فايبيان وسواه من الشهداء لم تكن عبثاً بل انها ستلهمنا دائماً وتهدينا سواء السبيل . وفي الطرف الآخر من ساحات القتال كان الجيش الاحمر

الظافر يحطم كل عقبة في طريقه ، ويجرف الحواجز امامه ،
وفي اواخر نيسان كان يدخل الى برلين ليسحق رأس التنين
الهنلري ، ويركز الراية السوفياتية على قصر المستشارية الذي
انطلقت منه فيما مضى زوابع الحديد والنار .

فليتعلم من هذا الدرس التاريخي ، اولئك الرأسماليون
الذين يريدون ان يستعيدوا الحطة الهتلرية في السيطرة على
العالم .

خاتمة

ان المناضل الذي يهدي هذه الصفحات الى رفاقه في العمل والنضال، والى جميع الذين يتعذبون ويجهدون ويأملون ، ليشق اعظم الثقة بأن سفينة الشعب ، ساعة هبوب عواصف جديدة عليها ، لن تفرق في الاعماق ، ولن تجنح نحو صخور العبودية والحرب ، بل انها تنطلق ، كما قال الشاعر ، شطر مستقبل من النور ، والحرية ، والاخوة ، تقودها الطبقة العاملة ، ومثلها الاعلى النبيل المتجسد في المناضلين :

الى المعرفة التي نراها متألثة في الآفاق ...

الى موت الطفلة ، وزوال الكوارث ... الى النسيان

الكريم ...

الى الرخاء والسكون ... الى المرح .. انى الانسان السعيد

ينطلق ... هذا المركب المجيد .

٥٣ / ٦ / ٥٠